Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue ٢, 2024
ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد (١٤) العدد (٢) ٢٠٢٤

مجلة كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة ذي قار

المجلد الرابع عشر، العدد الثاني ٢٠٢٤

ISSN:2707-5672

Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue ٢, 2024
ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد (١٤) العدد (٢) ٢٠٢٤

رؤيا العالم وتحديات الوعي في الرواية العراقية

قراءة سوسيو ثقافية

م.م محمد علي حاجم

قسم تقنيات التخدير، كلية التقنيات الصحية والطبية، جامعة العين العراقية، ذي قار، العراق

الملخص:

نحاول في هذا البحث الكشف عن العلاقات المتداخلة التي تحكم النص الروائي (العراقي) الحديث، وكيفية تأثير الواقع بكل محمولاته (التاريخية والاجتماعية والثقافية) عليه، ومنها ما ينعكس على تلك النصوص الروائية التي حاولت اختبار وجهات نظر مغايرة في سبيل إعادة صياغة الواقع عن طريق ثنائيات عدة منها (التذكر والنسيان) و(التقبل والتعرية) لكل محمولات هذا الواقع الذي لا يخلو من مفاجآت عديدة ألحَّت على العقل الإبداعي بكثير من محاولات الفهم والتفسير، ولا أفضل من الرواية بوصفها أقرب الفنون الأدبية محاكاة للواقع، وأدقها استيعابا لمفصليات الحياة المختلفة، كل ذلك عن طريق طرح رؤية (سوسيو ثقافية) تنطلق من النصوص إلى الواقع الموازي.

الكلمات الإفتتاحية: رؤيا العالم، سوسيو ثقافية، تحديات الوعي، المجتمع، رواية

معلومات البحث

تـــــاريخ القبول:١٥/٥/٢٠٢٤

الاتصال: م.م محمد علي حاجم، mohammedali1991jj@gmail.com

Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue ٢, 2024
ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد (١٤) العدد (٢) ٢٠٢٤

Word Vision and Challenges of Awareness in the Iraqi Novel Socio-cultural Reading

Muhammad Ali Hajim

Department of Anesthesia Technologies, College of Health and Medical Technologies, Al-Ain University, Thi-Qar, Iraq

Abstract

The current study attempts to reveal the intertwined relationships that govern the modern (Iraqi) fictional text, and how reality with all its predicates (historical, social, and cultural) influences the fictional text. Some of these reflections could be seen in the fictional texts as an attempt to test different points of view that tried to reformulate reality through several dualities, including (remembering and forgetting) and (accepting and exposing) all the predicates of this reality, which is not devoid of many surprises that have urged the creative mind to make many attempts at understanding and interpretation. It is important to mention that there is nothing better than the novel as the closest literary art to imitating reality, and the most accurate in accommodating the various details of life, all by presenting a (socio-cultural) vision that proceeds from the texts and extends to the parallel reality.

Keywords: Challenges of awareness, Novel, Socio-cultural, Word vision Society

Article information
Accepted: 15/5/2024
Corresponding author: Muhammad Ali Hajim, mohammedali1991jj@gmail.com

تمهيد:-

يضـــعنا الســـرد الروائي في العراق، وخاصـــة في مرحلة ما بعد التغيير في (٢٠٠٣م)، أمامَ كثير من المعطيات الفكرية التي طرحتها النصوص الروائية في سبيل محاكاة أزمنة عدَّة قبل التغيير الشامل الذي أصاب المنظومة الاجتماعية وبعده أيضـا، لذلك اشـتركت النماذج الروائية بصـفات مؤثرة على مسـتوى البنية (السـوسـيو ثقافية)، من حيث محاكاة فواعل الظلم والقهر والاسـتبداد التي اصـطبغت بها الحياة في مراحل متعددة، لذا أضـحى من الضـروري الوقوف عند بعض تلك الروايات ومحاولة استنطاقها نقديا، ومعرفة محفزَّات الرؤيا الإبداعية في كل واحدة منها، ومقاربتها نقديا عبر قراءة (سوسيو ثقافية) تنطلق من النص لتحاكي الواقع الذي عايشـــه كتَّاب تلك الروايات وحاولوا إعادة صـــياغته، لكن قبل ذلك لا بد لنا بداية أن نقف عند مصطلح (رؤيا العالم) الذي يهمنا في مقاربتنا هذه.

ظهر مصـطلح (رؤيا العالم) في الدراسـات الأدبية نتيجة جهود الناقد الفرنسـي (لوسـيان غولدمان) في اشـتغالاته المتعدِّدة في مجال النقد الروائي، إذ يؤكد غولدمان إن رؤيا العالم تمثل ((وجهة نظر متجانسة وموحَّدة لمجمل الواقع. ليست وجهة نظر متغيرة دائما للفرد، بل منظومة فكر لمجموعة من البشـــر يعيشـــون في الظروف الاقتصـــادية والاجتماعية نفســـها)) [١]، لذا فإن وجهة النظر المتشـــكِّلة في النصـــوص الأدبية تعبِّر، من وجهة نظر غولدمان، عن آراء وقناعات اجتماعية تولَّدت بين أفراد المجتمع نتيجة التفاعل والاحتكاك، لذلك ((يصـــبح النص كرؤيا للعالم ذات دلالة اجتماعية؛ لأن هذه الرؤية هي التي تنتظم فضـاء النص)) [٢]، وما المبدع (الكاتب) في هذه الحالة سوى واحد من الذين يعايشـون محيطهم الاجتماعي وأشـدهم تأثُّرا بالانحناءات التاريخية التي يمر بها المجتمع، ولكنه أكثرهم قدرة على صـياغة المفاهيم والقضـايا الاجتماعية؛ لأن ((الفنان بوصـــفه إنســـانا يعيش في مجتمع معين، إنما يتطبع بطباع مجتمعه وأعرافه وقوانينه ولا يمكن إنكار الدور الذي تؤديه هذه العوامل في صياغة شخصية الفنان وبناء نظرته الجمالية إلى الوجود)) [٣].

لذلك فإن هذه العلاقة التي تحكم المبدع بمحيطه هي التي تكون حافزا ضروريا ومهما جدا في تفسيره لبناء العالم؛ لأن العلاقات المتوترة في اليومي والمعاش لا بدَّ أن تشـكِّلَ ذاكرة مهمة يسـتقي منها الكاتب بعض أو جلَّ أفكاره وهو يعيد صياغة ترتيب العالم، من هناك كانت الرواية خلقا موازيا لعالم نعيشه ونحياه.

لذلك فإن دخول الوعي (السوسيو ثقافي) بكل محمولاته التاريخية والاجتماعية والثقافية في النصوص الروائية كان فاعلا بقوة في تلك المنجزات الروائية، ذلك إن كثرة المنعطفات المصـيرية التي واجهت المجتمع العراقي أثرت بشـكل هائل في الوعي الجمعي، لكن من جهة ثانية فإنَّ خوض الرواية العراقية بما يحدث في الواقع لم يكن ليقطعها عن بعدها الفني، فالنص الروائي وإن كان يخوض في مجمل العلاقات والبناءات الاجتماعية إلا إنه ((يتمتع باسـتقلاليته وبقوانينه الخاصـة، أي أن بنيات العالم المتخيل مناظرة أو مماثلة للبنيات الذهنية لدى الجماعة الاجتماعية، فالجماعة الاجتماعية تشـكل نسـقا من البناءات التي تُبث في وعي الأفراد ميولات عاطفية وفكرية وعلمية)) [٤]، لذا فإن المتخيل الذي تخلقه الرواية لا يقطع صلته مع المرجعي القار في الواقع.

وكي نقف على مصطلح (رؤيا العالم) وتداخلات المنهج السوسيولوجي في السرد الروائي العراقي كان لا بد لنا من نماذج تساعدنا في الوصول لذلك الفهم، لذا ستقع دراستنا هذه على ثلاثة نصوص روائية، هي: رواية (صانع الأكواز) للكاتب الدكتور ميثم هاشم طاهر ، ورواية (حقائق الحياة الصغيرة) للكاتب الدكتور لؤي حمزة عباس، ورواية (دع القنفذ ينقلب على ظهره) للكاتب الروائي خضير فليح الزيدي؛ لما لمسناه في تلك النصوص من مقاربات تصل بنا إلى معرفة كاملة عن عوالم روائية متباينة نهلت من الواقع العراقي ومتغيراته المتسارعة، كذلك فإن التقارب الزمني في إصدار تلك المنجزات كان حافزا آخر يسعفنا في الاستدلال على ما وصلت إليه الرواية العراقية من نضج فكري وفني كذلك.

الرواية العراقية بين رؤيا العالم وتحديات الوعي السوسيو ثقافي:

تصور لنا رواية صانع الأكواز، وهي تتحدث عن بطلها أشرق، قباحة الفعل الإنساني وتعرِّيه من صفات المروءة والرحمة التي طالما كان يتغنى بها البشر، لكن الرواية تواجهنا بغير المتوقع، حين تضعنا بدوامة المقارنات التي تكشف البون الشاسع في المفاهيم، ما بين وعي الأطفال وعقل الراشدين، هذه الدوامة تتكشف عن طريق الأسئلة التي ترِدُ في حواريات الأطفال، حتى تكون أكثر وخزا وأشد إيلاما للمتلقي: يتذكر أشرق بعض تلك الأسئلة، حين يتذكر حكاية الأخوين (نزار وخديجة) وطريقة اختفاء أمهما (مريم)، ذلك الاختفاء المبهم الذي حرَّك فواعل التأويلات المخيفة، إذ: **((تقول خديجة لأخيها وكنا نجلس على عتبة الباب:**

_ نزار، لماذا هربت هكذا؟

_ لأنها كما يقول جدي: ساقطة.

_ وماذا يعني (ساقطة)؟

_ يقول: إن ساقطة معناها (سيئة جدا)

_ لكنها كانت طيبة معنا.

_ ربما طيبة تعني سيئة جدا؟ قلتُ لهما)) [٥]، هكذا تفضح أسئلة الطفولة قصر النظر الذي يعاني منه الأعم الأغلب من المحيط الاجتماعي، إن حوارية هؤلاء الأطفال تضعنا أمام تفسير بغاية الأهمية يتعلق بلغة الأطفال، فالطفل ((مزود بلغة قبل أن يشرع في اكتساب اللغة الرائجة في المحيط الذي ولِدَ فيه)) [٦]، وهو ما يعني تقاطعا هائلا مع نظرة المجتمع الذي يطالب برأس (مريم) غسلا للعار الذي ألحقته بهم من وجهة نظرهم، هنا تتكشف لنا نوازع الشرِّ التي تسيِّر الذوات البشرية، حين تكون كلمتهم قاتلة وجارحة، فالمحيط الاجتماعي لتلك العائلة وأقصد بهم (الأقارب والجيران) لم يكفُّوا ألسنتهم بالكلام السيء عن سمعة مريم، حين قتلوها بالكلمة، وساهموا بقتلها مرة ثانية حين دفعوا بزوج مريم للتخلي عن أطفاله (نزار وخديجة) حين ألقى بهم في مدينة بعيدة وأضاعهم إلى الأبد [٧]؛ لأن المجتمع اعتبرهم (أولادًا غير شرعيين..!).

تواصل الرواية تصوير حكاية الألم العراقي، حيث الحرب الثانية في بداية تسعينيات القرن الماضي، حين خسر فيها الجميع معها كل شيء، نتيجة تهورات عقل الدكتاتور المنحرف، فالرواية تصبُّ جامَّ غضبها على تلك السياسات المتهورة للنظام السابق الذي أدخل البلاد بمتاهات لا منفذ لها، لندخل بعدها مع الرواية في دوامة (الحصار) الأقسى، حيث طار معها رغيف الخبز عاليا، ليفترس الجوع كل شيء ويحيل الحياة للوحة قاتمة[٨].

لقد قدَّم لنا الحوار خدمة عظيمة في هذه الرواية فمن خلاله، تكشَّفت لنا قضايا بغاية الأهمية؛ كونها كشفت عن جوهر التفكير العقلاني الذي يسير ذات (أشرق)، ولنأخذ مثالا على ذلك، حين يخاطبه كوز المتصوف قائلا: ((_أنت غاوي بؤس لا تحكي إلا ألمكَ))، ليجيبه أشرق قائلا: **((لأن لحظات الألم تنضج الإنسان، فكل ألم وثبة في الوعي والفهم الحقيقي للعالم))** الرواية[٩]، فالعالم ينطبع بصبغة مأساوية حزينة من وجهة نظر هذه الذات التي اصطبغت حياتها بلون الفقد والتعب والقهر.

هذه الرؤية كانت شبه عامة بين شخصيات الرواية التي تنحو جميعها إلى الحديث عن الألم، ففي موضع آخر من الرواية تقوم حوارية بين معلمة الفنية الست (ميساء) الممتحنة بمرض السرطان، وإحدى طالباتها (أسيل)، حين أرتها رسمتها، خاطبتها ست ميساء: **((_ أسولتي الوردة لا تفكري بأبٍ ارتاد قطار الموت، هذه أمنية مستحيلة، من يصعد قطار الموت لن يعود أبدا، اعرفي الآن عوض أن تعيشي تعيسة بانتظار الذي لا يعود، كوني سعيدة بنيتي. "كانت أسيل قد رسمت أباها القتيل عائدا من الحرب حيا"**

_ لكنكِ قلتِ تمنَّوا...

_ شريطة أن لا تتضمن أمنياتكم موتى يعودون، لأنهم لا يعودون أبدا))[١٠]، إن الأسئلة التي تخوض هذه الرواية في غمارها هائلة، تتعلق بالوجود، والأخلاق، والحياة والموت، والحرب، إنها مدونة وجع عراقي خالص، وكل ذلك من شأنه أن يقطع الذات عن حياتها الواقعية لتخلق عالما خاصا بها، وكل ذلك عن طريق سبر أغوار زاوية تفكير الأطفال وأسئلتهم الموخزة بتلك الحواريات المختلفة.

أما رواية (حقائق الحياة الصغيرة) فإنها تتخذ شكلا سرديا مميزا عن طريق محطاتها التي قاربت الاثنتان والثمانين، والتي شكَّلت لوحات متفرقة في الحياة المبكرة لبطلها المستتر خلف صوت الراوي، شابهت تلك المحطات حياة كاملة في مراحل الطفولة والشباب لمؤلفها من مقتطعات سيرية دللت عليها كثرة الإشارات التي أطلقها الراوي العليم في كل مرة، وكذلك الحوارات التي تضمنتها هذه الرواية والوصف كذلك، إن الحياة بحسب هذه الرواية لا تختلف كثيرا عن حياة الجرذ الذي يطالعنا بقفزات قدميه في أول الرواية التي تتحول إلى وثبات حذاء لجندي يتقدم نحو المجهول في آخر ترسيمات المخطط الفني.

تنقَّلت الرواية في حديثها بين الأيام الأولى لحرب الثمان سنوات، وبين الحديث عن اللحظات المبكرة في تشكل الوعي الفردي، حيث أيام التعلم المبكرة والتساؤلات الهائلة، إلى حديث عن حكايات الأولى التي أسهمت في إنضاج وعينا اللاحق وتكون درسا حقيقيا في إحاطتنا بتفسير مغاير لحياة سنعيشها فيما بعد، حيث تبدو رؤيا العالم مختلفة بكل شيء بين الماضي بكل واقعيته المفرطة والحاضر بمنحاه العجائبي الذي لم يتخطر ذهن أيٍّ منا، لذلك يصف الراوي حياة بطله قائلا: **((يدٌ خفيةٌ تتحكَّم فيه. في كل مرَّةٍ يعادُ فيها يمحو شيئا من معنى الحياة غير معاني القسوة والجنون التي تتردَّد في ذهنه قويةً راسخة))**[١١]، هذه الحياة التي تسيِّرها قوى غير مرئية كانت تبتدئ رحلتها في الرواية نحو الماضي، حيث الطفولة الأولى التي يأخذ معها السرد منحى استذكاري، لذا تسهم الذاكرة في إيصال رؤية البطل **((قرأ يوما قصة مترجمة، ...، ينشغل بطلها المشرد بالحديث عن الذيول، ذيول الصبيان الأشرار وهم يخلعون خوفهم الطبيعي، ويوغلون بالشر، يشتمون العابرين دونما سبب، ويرمونهم بالحجارة كما يرمون عدوا أو حيوانا ضاريا، يحاول كل منهم أن يتفوق بأفعال الشر على الآخرين))**[١٢]، تضعنا الرواية بإزاء الشر الذي يولِّد العنف بكل مفاصل حياة البطل، إذ ترتسم أمام ناظريه صورة سوداوية لهذا المحيط الاجتماعي الذي سيكاشفه بكثير من العنف والحرب والموت فيما بعد.

تواصل القراءة ضغطها على وعي ذلك الصبي لتسهم في تعبئة ذهنه بكثير من المواقف **((لكل منا حياة سابقة عاشها بهيئة أخرى، فكان طائرا أو نمرا أو تمساحا، أو أي كائن آخر لا يخطر على البال. يمكن لأي منا معرفة ما كان عليه، قرأ مثل ذلك يوما))**[١٣]، إن القناعة التي تتولد عن القراءة تكون أكثر انحيازا للوعي الناتج فيما بعد، لكن ذلك لا يعفي من خطورة الانزلاق بالتأويلات المختلفة نتيجة تراكم تلك القراءات، وهو ما جعل ذهن البطل يتخبط في التعامل مع أفراد مجتمعه الحالمون الوديعون والأشرار المفترسون، وغيرهم. على إن تلك الصور الأولى للأفراد ستنطبع في ذهن البطل لا تغادر مخيلته، وستجعله في قطيعة تامة مع محيطه الاجتماعي فاقدا للثقة بتلك الذوات التي يعايشها.

لذا يبين الراوي أزمة البطل الحقيقية قائلا: **((ما يحتاجه الفتى، حقا، أن يحكي وأن يجد من يستمع لحكايته، ولو مرَّت على وقوعها أعوام طويلة وأعوام، مهما تقطعت وتنافرت، إنها حكايتك أنت أيضا، حكاية الجرذ الذي سمِّي ظِلَّ الإنسان مرة ومرة توأمه، لا لأنه يتبعه إلى حيث يمضي ويعتاش عليه، بل لأنه الوحيد من بين الكائنات الذي استمع لحكاية الإنسان منذ أول الخلق))**[١٤]، إن ما تم ذكره سابقا عن التقاطع المعرفي بين البطل ومحيطه الإنساني والذي طبعه برؤية سوداوية عن المجتمع، قد أوغل في اغتراب هذه الشخصية التي اتخذت من الجرذ صوتا تحكي إليه. إن معضلة البطل تكمن في عدم تمكنه من التواصل بشكل جيد مع محيطه الاجتماعي، وهذا يعني اغترابه الحقيقي عن واقعه بشكل قطعي وليس أمامه سوى الانسحاب أو الهرب بحثا عن فرصة أحسن وواقع يعايشه بشكل أفضل[١٥]، لذا لم يجد له من شريك يقاسمه لذة الحديث ليبعد عن نفسه وحشة أن يبقى وحيدا سوى ذلك الجرذ، وقد يكون في تلك الرؤية حدة وسوداوية مبالغ فيها، لكن إذا ما علمنا إن الوعي شقاء مضاعف، خصوصا وإن الرواية تطالعنا بنموذج لبطل قارئ وواعي لا يجد من يبادله الحديث، ولا يخوض معه غمار الأسئلة لعلمنا إن دالة الاغتراب قسرية عليه وليست بمحض إرادته، وإن رؤيته للعالم تشابه كثيرين ممن تفوق وعيهم على مستوى محيطهم الاجتماعي.

تفتتح رواية (دع القنفذ ينقلب على ظهره) بحديث عن مسابقة الجمال التي تجري في إحدى أمسيات بغداد، هذه المسابقة التي لم تواجه خطرا منذ أربعينيات القرن الماضي كما تواجهه اليوم؛ لأن القبائلية التي تحكم الخناق على بغداد لم تسمح بأن يتم الاحتفاء بالجمال مطلقا: **((قيل إن الوصيفة/ ٢ ياقوتة الظلام من قبيلة معروفة بشراستها، ولا تعرف الرحمة في إراقة الدم على سرقة لعبة طفلة معطوبة أو دهس كلب أجرب. إذ أعلنت هذه القبيلة تحذيرا برش الصبغ على حيطان البيوت المتوقع إقامة الحفل فيها باللون الأحمر، من دون الاهتمام بموجبات النحو والإملاء، نحو "تصقط" الملكة بدلا من "تسقط الملكة"، ثم خطوا (الفاسق عبد الستار آل عبيد مطلوب عشائرين)، بدلا من "مطلوب عشائريا". هكذا أطيح بقدسية اللغة أمام قدسية القبيلة وما تؤمن به))**[١٦]، إن الرؤية النافذة التي تضعنا عندها الرواية تتعلق بكم هائل من الأسئلة اللا نهائية التي تتعلق بمصير الحياة وهي تتحول إلى ألعوبة بيد من لا يمتلك أي مؤهلات صالحة في التعامل مع الآخر؛ لأن أفراد تلك القبيلة قد تحولوا إلى كائنات تتحكم بهم التقاليد والأعراف والتي غالبا ما تحدَّهم عن التقبل والاستيعاب، وهذا بفعل القهر الممارس عليهم بحجة الولاء للدم الذي يفرضه عليهم البناء الريفي، والذي يقولبهم بقوالب جاهزة تزيح أي شيء أمام أنظارهم سوى إسم القبيلة[١٧]، لذا تنطلق رؤيتهم الوحشية إلى ترشيح واحدة من بناتهم لمسابقة الجمال إنها بمثابة قمة العار والخزي والتي لا تردمها سوى القصاص العشائري. ولا مهرب من ذلك القصاص سوى الاختباء خلف أسماء وهمية غالبا.

يصل الاعتراض على تلك المسابقة إلى أعتاب الفكر المتشدد، فالجماعات المتشددة لا تقل خطورة في تعاملها مع هكذا مناسبات عن القبلية، إذ: **((أعلن السيد الشقندحي بيان إدانة مسابقة الجمال، وكل من يقف في جبهتها سيعرض نفسه للقصاص العادل. محور المؤيدين دافعوا بقوة عن ملامح الجمال، ...، كي لا يتمزق ثوب "السلم الأهلي". ظل السيد آل عبيد يعلن في كل مسابقة عن محاولته إحياء بغداد التراث والجمال والسلام، حتى جاءت التهديدات على رقم هاتفه وانتحر. من هو المنتحر؟ الهاتف هو المنتحر لشدة الهجمة الشرسة))**[١٨]، يدخل الجمال بقدراته الضعيفة في مواجهة أخرى أكثر خطورة وشراسة وهذه المرة مع الفاعل الديني (المتشدد)، الذي مثلته جماعة مسلَّحة يقودها (السيد الشقندحي)، إن الظلامية التي يخوض فيها بعض المدعين للأفكار الدينية تكون حاجزا بينهم وبين كل ما يدعو للانفتاح والالتقاء والجمال، ذلك إن الفكر المتشدد يفرض سطوة تامة على الحياة، لذا يرى في حركة مسابقة الجمال خروجا متعمدا عن تقاليده وتعاليمه، لذا فإن أساس المشكلة يكمن في أدلجة الدين، وأيضا في ذلك (الوهم) الذي تقوم عليه قبضة المتدين السلبي؛ لأن هذه القبضة تخفي قدرات الفرد تحت قناع قوى أعلى منه فتسلبه إرادة التفكير وتكون هي المتحكمة الأساس بكل شيء، وهي رؤية فوقية ترى إن الجميع تحت ظلها دائما، وليس أمام من يعارضها سوى التراجع والاندحار بأي شكل من الأشكال.

تنتقل بنا الرواية لتضعنا أمام رؤيا معاكسة للتاريخ تطرحها شخصية (عدنان المرسومي)، فالتاريخ، بكل ترسباته وقوانينه الضاغطة التي تتغذى عليها الجماعات المتشددة، يتحول إلى مقولات ثابتة لحظة تدعو إليه الحاجة، إذ يطرح الرسومي رؤية مغايرة قائلا: **((إن التاريخ عجلة تدور إلى الأمام فقط. لا يمكن أن تعود القهقرى، لا شيء ينتقل من بطن**

الماضـي إلى الحاضـر بسـيارة قديمة، أو بقطار يعمل على البخار، أو بالفحم الحجري))[١٩]، إن أقصـى ما يصـل إليه التحدي في مواجهة الأفكار العائدة إلى الوراء هو محاولة التشـكيك بالتاريخ الذي يعدُّ لدى كثير ممن يتبنون تلك الأفكار مصـدرا ثابتا لا يمكن التشكيك به، يضـاف إلى ذلك صـيغة الخطاب التهكمي الذي رافق حديث (عدنان المرسـومي)، فقد عبَّر عن رؤيته للتاريخ بنوع من القطعية التي تخلع عن التاريخ صـفة الفاعلية في الحاضـر، وهو أشـد ما يرفضـه الوعي الكامن عند مجاميع هائلة من الأفراد الذين يرون بالماضي مقدسا لا يمكن تجاوزه.

لذلك يتدخل الراوي ليضـعنا أمام خطورة الأمر الذي أقدم عليه (المرسـومي)، إذ يقول: **((إن البحث عن حقيقة تاريخية عملية معقدة في بلداننا. الأسرار محبوسة بقلوب من بقي في الشوارع تلك الليلة. منهم من قضى نحبه ومنهم من صمت إلى يوم يبعثون))**[٢٠]، إن الزيف والتدليس الذي تمارسـه بعض الجماعات المتشـددة مع التاريخ لا يمكن له أن يتقبل الحقيقة مهما كان الثمن؛ لأن الإقرار بالحقيقة يعني الخسارة الحتمية لكثير من المكتسبات التي مررت بسرعة للمحيط الاجتماعي بوسـاطة الارتكاز على المقولات التاريخية، لذا فإن الأصـوات التي تعرف الحقيقة بعيدا عن دائرة التشـدد يكون مصيرها الموت حتما، أو التهديد الذي يسلبها حق الحديث أو التعبير عن أيَّة إشكالية ضد التاريخ.

الخاتمة:

توضَّـح لدينا أن النصـوص الروائية (عينة الدراسـة) كانت تتأثر كثيرا بالعملية التاريخية التي مرَّ بها المجتمع العراقي، ومن هنا كان لا بدَّ من ذاكرة مسـتعادة لهذا التاريخ بكل لحظاته وانحناءاته الخطيرة، لذا نجد أن الفاعل الزمني الذي يعود إلى الوراء إنما هو يبعث من جديد التحولات التي مرت بها البنية الاجتماعية، بفعل الحرب والتهميش والإقصـاء، خاصـة بما يتعلق برواية (صـانع الأكواز) أو رواية (حقائق الحياة الصـغيرة)، أما رواية (دع القنفذ ينقلب على ظهره) فقد كانت مشـغولة بالواقع الدرامي الذي حدث بعد سـقوط النظام، والذي خلق حربا طائفية انقسـم فيها المجتمع بأبشـع صـور الإنقسام، إذ تحول التعايش إلى تحارب، والتقبل إلى رفض بين أبناء المحيط الاجتماعي الواحد.

هوامش البحث

(١) الإله الخفي، لوسيان غولدمان، ترجمة: د. زبيدة القاضـي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط٢٠١٠: ١٢.

(٢) التحول الاجتماعي من خلال الفن القصصي، د.عبد الحميد الحسامي، دار التنوير، الجزائر، ط١، ٢٠١٣م: ٣١.

(٣) فلسفة الفن والجمال: الإبداع والمعرفة الجمالية، حامد سرمك، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.: ٦٣.

(٤) تأويل النص الروائي في ضـوء علم الاجتماع النصـي، د.عبد الهادي الفرطوسـي، منشـورات بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠٠٩م: ٢٠.

([٥] صانع الأكواز، رواية، ميثم هاشم طاهر، دار راشد، الفجيرة، ط١، ٢٠٢٠م: ٥٣

([٦] ينظر المصدر نفسه : ٦١

([٧] اللغة والخطاب، عمر أوكان، دار رؤية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١١م: ٢٣

([٨] ينظر: المصدر نفسه: ٢٣.

([٩] المصدر نفسه: ١٣٧.

([١٠] المصدر نفسه: ١٤٣.

[١١] حقائق الحياة الصغيرة، لؤي حمزة عباس، منشورات المتوسط، إيطاليا، ط١، ٢٠٢١م: ١٠.

([١٢] المصدر نفسه: ١٦.

([١٣] المصدر نفسه: ٤١.

([١٤] المصدر نفسه: ٧٢.

[١٥] ينظر: الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الواقع والحلم، د.حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م: ٨١.

[١٦] دع القنفذ ينقلب على ظهره، رواية، خضير فليح الزيدي، منشورات فلامنكو للترجمة والنشر والتوزيع، بغداد، د.ط، ٢٠٢٢م: ١٣.

[١٧] ينظر: التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٩، ٢٠٠٥م: ١٠٤.

([١٨] دع القنفذ ينقلب على ظهره: ١٨.

([١٩] المصدر نفسه: ٣٦.

([٢٠] المصدر نفسه: ٤٢.

مصادر البحث:

١. الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الواقع والحلم، د.حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
٢. الإله الخفي، لوسيان غولدمان، ترجمة: د. زبيدة القاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط٢٠١٠م.
٣. تأويل النص الروائي في ضوء علم الاجتماع النصي، د.عبد الهادي الفرطوسي، منشورات بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠٠٩م

٤. التحول الاجتماعي من خلال الفن القصصي، د.عبد الحميد الحسامي، دار التنوير، الجزائر، ط١، ٢٠١٣م.
٥. التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٩، ٢٠٠٥م
٦. حقائق الحياة الصغيرة، رواية، لؤي حمزة عباس، منشورات المتوسط، إيطاليا، ط١، ٢٠٢١م.
٧. دع القنفذ ينقلب على ظهره، رواية، خضير فليح الزيدي، منشورات فلامنكو للترجمة والنشر والتوزيع، بغداد، د.ط، ٢٠٢٢م.
٨. صانع الأكواز، رواية، ميثم هاشم طاهر، دار راشد، الفجيرة، ط١، ٢٠٢٠م.
٩. فلسفة الفن والجمال: الإبداع والمعرفة الجمالية، حامد سرمك، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
١٠. اللغة والخطاب، عمر أوكان، دار رؤية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.